

مؤسسة الوقف العلمية في الغرب الإسلامي

د/عبد القادر بن عزوز⁽¹⁾

أستاذ محاضر ورئيس قسم الشريعة
كلية العلوم الإسلامية/جامعة الجزائر



مقدمة:

شهد الغرب الإسلامي عبر تاريخه قيام مؤسسات وقفية تعليمية ساهمت في بناء شخصية العرب والبربر على حد سواء؛ بل تعدت لتؤثر في تكوين شخصيات الأقليات غير المسلمة في الغرب الإسلامي، كما كان حال الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الأندلس.

وإن الناظر في كتب التاريخ والسياسة الشرعية والنوازل الفقهية ليقف على ثروة علمية وتاريخية تبرز دور مؤسسات القطاع الخيري ممثلة في الوقف في تنظيم حياة الفرد والمجتمع في الغرب الإسلامي.

أولاً: مساهمة الوقف الخيرية في المحافظة على الهوية الإسلامية في الغرب الإسلامي:

عرف الغرب الإسلامي كغيره من الحضائر الإسلامية حضوراً قوياً لمؤسسة الوقف، بما تقدمه من خدمات مختلفة للفرد والمجتمع، كوقف الفنادق، والحيوانات والبساتين، ووسائل الإنارة كالزيتون⁽²⁾ وغيرها.

وخير مثال على مدى بيان حدود المساهمة الفعلية لمؤسسة الوقف في بناء حياة الفرد والمجتمع في كل المستويات، أنها بلغت شكلت 66٪ من نسبة العقارات بالجزائر حسب إحصائيات المحتل الفرنسي حين دخوله إليها سنة 1830م⁽³⁾.

ولقد رافق هذا الاهتمام الاجتماعي بالوقف بالغرب الإسلامي منظومة فقهية تشريعية تمثلت في التأليف الفقهي في كتب فقهية عامة ككتاب "الكافي في فقه أهل المدينة"، لابن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ) أو كتب متخصصة ككتاب "الأجوبة في الوقف ليحيى بن محمد لحطاب" (ت 995هـ/ 1587م) أو تضمنتها كتب النوازل ككتاب "النوازل الجديدة الكبرى للوزاني" (ت 1342هـ) والتي اهتمت في مجملها بدراسة وبيان أحكام العين الموقوفة ببحث ما يجوز وقفه مما لا يجوز؟ وما يتعلق بالواقف ببحث شروط أهليته للتبرع؟ كما بحثوا أيضا المسائل المتعلقة بإنشائه؟ بدراسة صيغة الوقف، وكذا مسألة النظارة عليه، وحدود مسؤولية ناظره وما يترتب عنها من القول بتضمينه من عدمه؟ وبيان شروط الإخلال بها؟ وغيرها من المسائل الحقوقية الخادمة للوقف⁽⁴⁾.

ومن مظاهر أهمية محافظة الوقف على الهوية العربية الإسلامية في الغرب الإسلامي، مساهمة مؤسسة الوقف العلمية في الحفاظ على دين المجتمع ولغته، ومقومات شخصيته العربية - الأمازيغية، في بلاد المغرب العربي إبان الاحتلال الفرنسي لها رغم محاولاته العديدة لطمسها والقضاء عليها، كما كان شأنه مع مؤسسات الوقف بالجزائر بإصداره لمجموعة من القوانين التي تحد من نشاط هذه المؤسسة كقرار 09/08 / 1830م، والمتضمن تحويل السلطات الاحتلال المدنية والعسكرية الحق في التصرف والإشراف على الممتلكات الوقفية، ومنه تعميم الإشراف على المساجد لأنها رمز لدين المجتمع، ودينه يوحى بمحاربة المحتل⁽⁵⁾ مما أثر سلبا على عدد الأوقاف العلمية أو الخادمة لها والتي قدرت بـ 1798 وفقا خيرا بمدينة الجزائر لوحدها غداة الاحتلال⁽⁶⁾.



ولكن وعلى الرغم من هذه السياسة البائسة من المحتل استطاعت مؤسسات الوقف العلمية ممثلة في المساجد والمدارس الوقفية والخاصة والزوايا بحماية الهوية العربية الإسلامية بالجزائر وبلاد المغرب العربي.

ثانياً: مجالات تأثير مؤسسة الوقف الخيرية بالغرب الإسلامي في الحياة العلمية:

تعددت مجالات التأثير العلمي لمؤسسة الوقف بالغرب الإسلامي كغيرها من الحواضر الإسلامية، وإن هذا الحضور مرده إلى أمرين :

الأمر الأول: أمر ديانى ممثلاً في ترغيب الشريعة في أفعال الخير وخدمة المجتمع الإسلامى والإنسانى كقوله تعالى ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧) ومن أنواع المسارعة إلى مغفرة الله تعالى، القيام بالنفقات الواجبة والتطوعية والتي يمثل الوقف أحد روافدها بالوقف على المرافق العمومية وعلى المؤسسات العلمية منها خصوصاً مصداقاً لقوله تعالى ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٨).

ومثاله أيضاً ما جاء في السنة المطهرة، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (٩).

الأمر الثاني: أمراً دنيوياً ممثلاً في تخطيط المدينة في تاريخ الحضارة الإسلامية، إذ كانت المدن تقوم على تخطيط يكون محوره المسجد، ومن هنا تنشأ المدينة في التاريخ الإسلامى ببنائه لأنه رمز للسلطة الروحية، ثم دار الإمارة بكونها المحافظة على استمرار هذه السلطة والدفاع عنها، وإقامة العدل وسياسة الناس به ثم الساحات العامة فالطرقات فالدروب فالأزقة فالحارات.

ومثاله من التاريخ الإسلامي ما نقله البلاذري في فتوحه في مسألة تمصير الكوفة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الذي أمر سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- بأن يتخذ للمسلمين دار هجرة يستوطنونها، إذ جاء في فتوحه: "...فتحول إلى الكوفة، فاخترتها وأقطع الناس المنازل، وأنزل القبائل منازلهم، وبني مسجدها وذلك في سنة سبع عشرة⁽¹⁰⁾."

ومثاله أيضا تخطيط مدينة القيروان وبناء مسجدها سنة (46هـ) غداة الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا⁽¹¹⁾، وكذا بناء مسجد الرايات في الجزيرة الخضراء بالأندلس سنة (90هـ)⁽¹²⁾.

وإن هذا التخطيط للمدن يظهر جلية مدى حضور مؤسسة الوقف الخيرية في تشكيل الحياة العامة والخاصة، فالبداية تكون ببناء المسجد لما يحققه من مقاصد تحفظ الكليات الخمس للفرد والمجتمع، إذ يمثل أول مؤسسة وقفية ذات خدمات مختلفة دينية وتعليمية وتكافلية مختلفة.

ولقد سائر بناء المسجد في تاريخ المدن الإسلامية عموما والغرب خصوصا بناء مرافق وقفية داعمة لمقاصده بوقف موارد المياه من عيون وآبار ومزارع ودكاكين، وزيتون للاستصباح وصهاريج للمياه... إلخ والتي كانت توقف على خدمة المسجد وطلبته وشيوخه، ولتتعدى أفراد المجتمع⁽¹³⁾.

وتتجلى مظاهر تأثير مؤسسة الوقف في تأطير الحياة العلمية بالغرب الإسلامي في ما وفرته هذه المؤسسة من دعم ومساندة مادية ومعنوية للعلم ومؤسساته والتي أجملها في الآتي:

أ- مجالات الدعم المعنوي لمؤسسة الوقف للحركة العلمية في الغرب الإسلامي: يعتبر تحقيق الاستقرار الفردي والاجتماعي من مستلزمات تطور المجتمعات على المستوى الاقتصادي والثقافي... إلخ.

ولعل من أبرز مرتكزاته توفير أسباب الأمن على الطعام والأنفس، والذي جاء تقريره في قوله تعالى ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ إِيَّاهُمْ رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۚ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾⁽¹⁴⁾ وهما شرطان تحققا في مقاصد الوقف الخيري من جهة أن الطبيعة المتنوعة للأوقاف وما تقدمه من خدمات اجتماعية واقتصادية مختلفة كوقف المدارس والمزارع والقلاع والأربطة والجسور والمحلات التجارية وموارد المياه... إلخ.

وإن هذا التنوع والتعدد في الخدمات التي تقدمها مؤسسة الوقف للمجتمع الإنساني، شكل دعما معنويا لمؤسسة الوقف وغيرها من المؤسسات الخاصة والعامة لنشر حركة التنوير العلمية بين أفراد المجتمع، إذ لا يعقل رواج حلقات طلب العلم مع انعدام الاستقرار في توفير أسباب العيش من طعام وشراب، وكذا عدم استقرار الأمن بالبلد، فكان في الوقف على الأربطة والحصون كحصن طليطلة والثغور والأبراج ورعاية السواقي والعيون والآبار⁽¹⁵⁾ في تاريخ الحضارة الإسلامية أو بعبارة أخرى شكلت أوقاف الأمن عاملا مهما في المحافظة على التوجه الاجتماعي نحو طلب العلم.

ومثاله، ما كان من أوقاف في تونس وفاس من أوقاف مخصصة لتزويج الفقراء والأيتام وكذا النفقة على القاصرين ورعايتهم وتيسير أسباب طلب العلم لهم⁽¹⁶⁾.

ب- مجالات الدعم المادي لمؤسسة الوقف للحياة العلمية: عملت مؤسسة الوقف بالغرب الإسلامي على توفير أسباب التعليم لجميع أفراد المجتمع لمعرفة بأهمية ذلك في تكوين مجتمع متشبع بقيمه الدينية ومتفتح على المجتمعات الإنسانية.

وإن المتأمل في مجموع الأسئلة المنقولة في كتب النوازل الفقهية، يتجلى أمامه مدى حجم المرافقة المادية لمؤسسة الوقف للحياة العلمية للمجتمع.

ويمكن للباحث في تأثير مؤسسة الوقف المادية على الحركة العلمية أن يحصره في توفير الأسباب التالية:

أ- الاهتمام بتوفير مؤسسات التعليم: عملت مؤسسة الوقف الخيرية على توفير البنى التحتية للعملية التعليمية في الغرب الإسلامي، بتحفيز المجتمع على بناء مؤسسات التعليم والتي انتشرت في المدن والقرى.

ومثاله، وقفية المدرسة النصرية اليوسفية بالأندلس⁽¹⁷⁾ ووقف الكتاتيب التي كانت بمثابة المدارس الابتدائية في الوقت الحالي كما كان الشأن بالأندلس في قرطبة في عهد المستنصر (350-366هـ/961-967م) والتي عرفت انتشارا في أحيائها المختلفة، تهتم بتعليم أبناء الضعفة والمساكين القرآن وعلوم أخرى⁽¹⁸⁾.

وهكذا عرفت مدينة غرناطة حوالي (17) سبع عشرة مدرسة كبرى و(120) مدرسة صغرى⁽¹⁹⁾ يسند خدماتها العديد من الأوقاف المختلفة.

وكذلك الشأن بالمغرب وفي عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق (ت 685هـ) حيث بنى المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الأوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات⁽²⁰⁾.

وأسس غيره مدارس من السلاطين مؤسسات علمية، كمدرسة "وكاك بن زلو اللمطي السنوي" العلمية، ومدرسة "الصابرين" بفاس وغيرهما⁽²¹⁾.

ومثاله أيضا ما عرفته تلمسان في أواخر عهد الدولة الزيانية بالجزائر من انتشار للمدارس الابتدائية (الكتاب) والعليا (المدارس الملحقه بالجامع الكبرى) كمدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام⁽²²⁾.

كما شهدت مدينة قسنطينة بالشرق الجزائري في أواخر العهد العثماني انتشارا واسعا للمؤسسات العلمية حيث بلغت حوالي (7) سبع مدارس بتعداد (600) تلميذ منهم (150) من الريف يتقاضون منحة سنوية⁽²³⁾.

ومثاله أيضا ما كان من مدارس بتونس كمدرسة المعرض الوقفية زمن الحكم الدولة الحفصية⁽²⁴⁾.

وكذلك كان الشأن لأوقاف الرابطات التي أسست من أجل الدفاع عن حدود الدولة في الغرب الإسلامي والتي تحولت إلى مراكز إشعاع علمي يقصدها المعلمون والمتعلمون⁽²⁵⁾.

ولم يقتصر مؤسسة الوقف على توفير البنى التحتية المساعدة على عملية النهضة العلمية؛ بل تعدت إلى العمل على ضمان "وقف الكراسي العلمية" لمختلف التخصصات العلمية كما كان الشأن بجامعة القرويين ككرسي الونشريسي أبو الربيع الفاسي (ت 705هـ) وأبي عبد الله محمد بن أحمد المعافري التلمساني (ت 771هـ)⁽²⁶⁾.

ولم يتوقف اهتمام مؤسسة الوقف الخيرية على توفير البنى التحتية للتعليم، بل تعدى إلى الاهتمام بالخدمات المرافقة كالحراسة والنظافة والصيانة والإنارة... إلخ⁽²⁷⁾.

وإن هذا الاهتمام المتزايد بمؤسسة الوقف العلمية، شجع الكثير من أفراد المجتمع ومنهم النساء على البروز في مجالات علمية مختلفة في الغرب الإسلامي كما كان الحال في مدينة بجاية من ظهور عالمات في الفقه والحديث والطب كحفصة بنت الفقيه أبي عمران موسى بن حماد الصنهاجي (519هـ / 1125م)⁽²⁸⁾ والأديبة عائشة بنت أبي الطاهر عمارة البجائية⁽²⁹⁾.

وفي الأندلس أيضا برزت بفضل تقدم التعليم والتي ساهمت فيه مؤسسة الوقف الخيرية عدة نسوة أذكر منهن على سبيل التمثيل لا الحصر: الشاعرة الحرة حواء بنت تاشفين والمقرئة الحرة تاج النساء بنت رستم أخت أبي الشعاع والعروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمان بن غلبون الكاتب وغيرهن⁽³⁰⁾.

وإن هذا التأثير والحضور لمؤسسة الوقف لم يكن قاصراً على تعليم المسلمين؛ بل تعدى ليشمل أهل الذمة والوافدين على المجتمع من أوروبا وذلك لسياسة الدولة في الغرب الإسلامي ورغبتها في تعميم التعليم المجاني للجميع بسبب انتشار المرافق التعليمية الوقفية وغيرها في أرجاء الغرب الإسلامي، فشمل التعليم الذكور والإناث من كل الطوائف، وخير مثال على ذلك أن البابا سلفستر الثاني (390-394 هـ / 999-1003 م) كان أحد الوافدين على مسجد قرطبة ليتلقى مزيداً من العلوم والفنون المختلفة⁽³¹⁾.

وإن هذا التوسع للمؤسسات الوقفية العلمية، ساهم في تعميم استعمال اللغة العربية في كل الفنون، وتشجيع الترجمة من اللغات الأخرى إليها أو العكس.

كما شجع الجليات غير المسلمة للانخراط والاندماج مع المسلمين في بناء وتشكيل الحركة العلمية في الغرب الإسلامي وما اشتهار الكثير منهم كالشاعر اليهودي يعقوب سليمان بن المعلم والملقب الأمير والوزير في العصر المرابطي وأبو الحسن أبراهام بن مير بن كامنيال⁽³²⁾ إلا مظهراً من مظاهر التسامح والتفاعل والتعاون الذي دعت إليه الشريعة الإسلامية في قوله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽³³⁾ والذي جسده مؤسسة الوقف الخيرية في واقع الناس مغرباً ومشرقاً بمؤسساتها الخدمية والعلمية.

ب- الاهتمام بتوفير التأطير العلمي: إن الناظر في نظام المدارس الوقفية في تاريخ الغرب الإسلامي كما جاء في كتب النوازل الفقهية ليقف على مدى اهتمام مؤسسة الوقف بتوفير أسباب إنجاح العملية التربوية وذلك بالاهتمام بتنظيم الهيكل البيداغوجي والإداري المؤطر للمؤسسات التعليمية، ومثاله ما جاء في كتاب المعيار في جواب عن نازلة ضيق خراج مدرسة موقوفة من له حق التقديم في

استحقاق المرتب على غيره، والتي صورت لنا هذا الهيكل ممثلاً في : إمام، ومؤذن ومدرس وقيم وبواب، وطلبة⁽³⁴⁾.

وإن هذا العدد من المؤطرين والمشرفين على المدرسة في تاريخ الغرب الإسلامي وما يخصص لهم من أموال من الوقف يدل على مدى مساهمة مؤسسة الوقف في تنوير أفراد المجتمع.

ت- الاهتمام بتوفير الحياة الكريمة للمعلم والمتعلم: إن من أسباب إنجاح العملية التربوية، الاهتمام بأركان التعليم، الملقى والمتلقي، والمواد المدرسة، وإن الناظر في تاريخ الغرب الإسلامي يلاحظ هذا الاهتمام الكبير بتوفير هذه الأسباب من مؤسسة الوقف بتوفير أجور المدرسين والأساتذة والطلبة تدفع لهم من ريع الأوقاف⁽³⁵⁾ بشرط أن يلتزم الأستاذ بمقتضى العقد كما جاء في النوازل الجديدة للوزاني جواباً عن كيفية استحقاق المعلم أجرته فكان الجواب أن يقوم بالمصلحة التي جعل له المرتب عليها، وإلا فلا يجوز له أخذه⁽³⁶⁾.

وإن هذا الضبط في بيان الحقوق والواجبات القائمة بين مؤسسة الوقف العلمية والإطار التربوي ساعدها على الانتشار والتوسع لتشمل المدن والأرياف⁽³⁷⁾.

كما ساهمت في تنشيط الحركة العلمية من خلال توفير أسباب مجانية التعليم والتشجيع على التفرغ للبحث العلمي بتوفير نظام الداخليات والإعاشة والتطبيب واللباس والمنح الدراسية لطلبة العلم عموماً والفقراء منهم خصوصاً تشجيعاً لهم على الطلب وتحقيقاً لاستقرارهم النفسي وتسهيلاً لهم على التحصيل العلمي⁽³⁸⁾.

ومثال ما صنيع السلطان يعقوب وبنوه من بعده في حق طلبة العلم " فاستكثروا من بناء المدارس العلمية والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة وأجروا على الطلبة بها الجرايات الكافية، فأمسكوا بسبب ذلك من رفق العلم وأحيوا مراسمه وأخذوا بضبعيه⁽³⁹⁾."

وإن هذا الدعم للعلم ومؤسساته وطلبته ومعلميه رافقه روافد مالية كانت تجنى من أوقاف تقدم خدمات عمومية يرجع بريعتها على هذه المؤسسات، كما كان حال جامعة القرويين بفاس، إذ كانت معظم الأملاك الوقفية المختلفة بفاس وضواحيها من فنادق وأراضي زراعية وأشجار مثمرة وغيرها تصب في وعاء الخزينة المالية لها⁽⁴⁰⁾.

ومثاله أيضا ما كان موقوفا على مؤسسة المسجد الكبير ومرافقه التعليمية بالجزائر العاصمة في أواخر العهد العثماني⁽⁴¹⁾.

ث- الاهتمام بالبرامج الدراسية: عملت مؤسسات التعليم العامة والخاصة والوقفية في الغرب الإسلامي على تنويع برامجها الدراسية، فكانت مقررات المرحلة الابتدائية (الكتاب) في العهد العثماني بالجزائر مثلا تهتم بتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم أصول الخط العربي، والقراءة، وكان الطالب ينتسب إليها إلى بلوغه حدود سن (14) من عمره⁽⁴²⁾.

وأما في المدارس العليا، فكانت المقررات على الطلبة تشمل عموما دراسة علوم الشريعة واللغة والحساب والوثائق وعلم الفلك والطب والصيدلة وغيرها من المواد العلمية⁽⁴³⁾.

ومثاله أيضا ما كان يدرس من مواد علمية عقلية وعقلية بجامعة القرويين الوقفية بفاس من علوم الشريعة كالتفسير والفقه والفلسفة والهندسة والطب والرياضيات وغيرها مما يظهر مدى التأثير العلمي لمؤسسة الوقف في بناء العقلية العلمية للفرد والمجتمع⁽⁴⁴⁾.

ج- توفير وسائل التثقيف العمومية: عملت مؤسسة الوقف بالغرب الإسلامي على نشر التعليم للجميع وذلك بتوفير الكتب والمكتبات الوقفية كما ساهمت في مساندة العملية التعليمية بوقف المكتبات المختلفة العناوين والموضوعات، والتي

عرفت انتشارا واسعا كمكتبة الخزانة العامة بالجامع الأعظم بغرناطة في عهد ملوك بني نصر ومكتبة قرطبة في عهد المستنصر (350هـ)، ومكتبة الفقيه محمد بن أحمد بن عون المعافري وقاسم بن سعدان بن يزيد بن يوسف الوقفيتان⁽⁴⁵⁾.

ومثاله ما قام به السلطان يعقوب بن عبد الحق بعد أن بنى مدرسته التي بفاس "وقف عليها كتب العلم"⁽⁴⁶⁾.

ومكتبة بيت الحكمة بتونس في عهد الدولة الأغلبية والتي أسست بقرب من مدينة القيروان⁽⁴⁷⁾.

ورافق وقف المكتبات إقبال أفراد المجتمع على وقف الكتب على المدارس والمساجد والمكتبات الوقفية وتعيين طريقة الاستفادة منها واعتماد نظام الإعارة⁽⁴⁸⁾ كما جاء مضمونه في سؤال بعضهم عن كيفية الاستفادة من الكتب الموقوفة إذا نص الواقف على بعض وجوه الانتفاع وسكت عن البعض؟ وكذا سؤال بعضهم عن حبس كتبها وشرط في وقفيتها ألا يعطى إلا كتاب بعد كتاب؟⁽⁴⁹⁾.

وإن هذا الاهتمام الرسمي والاجتماعي بالمؤسسات العلمية عبر تاريخ الغرب الإسلامي أثمرت في تكوين الكثير من العلماء قديما وحديثا في شتى العلوم الدينية والدنيوية من أمثال ابن أبي زيد القيرواني (310 - 386هـ) والإمام الباجي (403 - 474هـ / 1012 - 1081م) وابن العربي (468 - 543هـ) وابن رشد الحفيد (520 - 595هـ / 1126 - 1198م) والشيخ محمد الطاهر بن عاشور (1296 - 1393هـ / 1879 - 1973م)، والشيخ عبد الحميد ابن باديس (1889م - 1940م) والشيخ علال الفاسي (1326 - 1394هـ / 1908 - 1974م) وغيرهم.

ثالثاً: حاضر مؤسسة الوقف العلمية بالغرب الإسلامي:

إن الناظر في تاريخ مؤسسة الوقف العلمية بالغرب يجدها حافظت على دين المجتمع وهويته عبر التاريخ على الرغم من كونها عرفت فترات ازدهار وركود لأسباب مختلفة غير أن ما مرت به دول الغرب الإسلامي من احتلال واجتهاد المحتل على طمس معالم الوقف عموماً والعلمية منه خصوصاً بتغيير المرافق الوقفية إلى ملكيات خاصة أو عمومية وطمس الآثار الثبوتية لها كما كان الحال بالجزائر مثلاً أو بسبب عدم انتباه دول الغرب الإسلامي لأهمية القطاع الخيري في تنمية الإنسان من كل النواحي وانشغالها لتصحيح البنى ومخلفات الاستعمار، وكذا لتمسك النظائر بحرفية احترام شرط الواقف مع غياب شرطه في الواقع، وكذا غياب الوعي الاجتماعي بأهمية الوقف في تأطير حياة الناس؛ جعل هذه المؤسسة تراجع نوعاً ما في القيام بدورها المنوط بها شرعاً وقانوناً غير أنه من الأهمية التذكير بالمجهود الذي تقوم به وزارات الأوقاف في هذه البلدان في الوقت الحاضر لتفعيل دور الوقف الديني والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

الخاتمة:

إن الباحث في تاريخ مؤسسة الوقف العلمي بالغرب الإسلامي ينتهي به بحثه إلى جملة من النتائج يمكن الاستعانة بها في حاضر الناس اليوم ممثلة في الآتي:

حضور الدولة في ترسيخ معنى الوقف ومقاصده وبناء مؤسساته من خلال مسارعة الحكام والأمراء إلى الوقف العام والخاص وكذا بدعم مؤسسات ذات الصبغة الخدمية.

توسع ثقافة الوقف بين أفراد المجتمع بالغرب الإسلامي عموماً والعلمي منه على وجه الخصوص.

دعم مؤسسة الوقف للمؤسسات العلمية بما توفره من خدمات مساندة لنشر الثقافة العلمية، كتوفير المكتبات والمرافق الصحية ودعم أمن البلاد والعباد بما يوقف على الحدود (الثغور).

العمل على تطوير المنظومة التشريعية المرتبطة بالوقف لتساير التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية من خلال تجديد التأليف فيها.

التوصيات:

إن الملاحظ في تاريخ الوقف الإسلامي مغربا ومشرقا أنه كان يشرف مباشرة على العملية التعليمية، ولكن ومع بروز مفهوم الدولة الحديثة والتي من مهامها توفير البنى التحتية والتأطير للمؤسسات التعليمية والعلمية والثقافية المختلفة أصبح من الواجب على مؤسسة الوقف أن تغير سياستها نحو دعم المؤسسات العلمية من خلال ترشيد أفراد المجتمع إلى الوقف على أسباب المساندة غير المباشرة كالتشجيع على طبع الكتب في مختلف العلوم، وتشجيع البحث العلمي والمسابقات الدولية في مجال البحث العلمي والترجمة ودورات التدريب وغير ذلك من المشاريع المساندة .

والله الموفق للصواب

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبو، ط/باس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط/ 1418 هـ / 1997 م.
- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 04.
- تاريخ الجزائر الثقافي، أد/سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01 / 1998 م.
- الحضارة الإسلامية في تاريخ النظم، د/ رحيم كاظم وأ/عوف محمد، الدار اللبنانية، القاهرة، والمكتبة الجامعية ليبيا.
- دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، أد/ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01 / 2001 م.
- دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، أد/محمد الأمين بلغيث، دار التنوير، الجزائر، ط 02 / 1429 هـ - 2008 م.
- الذخيرة، القرافي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب، بيروت، ط / 1994 م.
- صحيح بترتيب ابن بلان، ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 02 / 1414 هـ - 1993 م.
- فتوح البلدان، البلاذري، مراجعة رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / 1403 هـ - 1983 م.
- المعيار العرب، الونشريسي، تحقيق مجموعة من الفقهاء إشراف د/محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط / 1401 هـ - 1981 م.
- النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800م - 1830م، د/ناصر الدين سعيدوني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1979 م.
- النوازل الجديدة الكبرى، الوزاني، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، تحقيق أ/عمر بن عباد، ط / 1419 هـ - 1998 م.



- الوقف في الفكر الإسلامي، /أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط/ 1416 هـ - 1996 م.
الرسائل الجامعية:

- عبد المطلب، ع/ 7/ سى رجب مظهر، (أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي، عصر الإمارة والخلافة، 138-421 هـ / 756-1030 م)، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ إسلامي وحضارة إسلامية، جامعة اليرموك، 1420 هـ / 1991 م.

- عبد القادر ربوح، (الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين 4-9 هـ / 10-15 م)، مذكرة لنيل درجة الماجستير من قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، السنة الجامعية 1426-1427 هـ / 2005-2006 م.

- محمد شريف سيدي موسى، (الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بجاية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الإسباني 6 هـ / 10 هـ - 16/12 م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ السنة الجامعية 2009-2010 م.

المجلات العلمية:

- مجلة أوقاف، ع/ 7/ س 4 / شوال 1425 هـ - نوفمبر 2004 م.

- مجلة أوقاف، ع/ 11/ س 6 / ذو ربيع الآخر 1427 هـ - 2006 م.

- مجلة أوقاف، ع/ 11/ س 6 / ذو القعدة 1427 هـ - نوفمبر 2006 م.

- مجلة أوقاف، تصدر س/ 7 / شوال 1428 هـ - نوفمبر 2007 م.

- مجلة الصراط، تصدر عن كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، س 11/ ع 18 / محرم 1430 هـ - 2009 م.

الملتقيات:

- أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، منشورات 62 م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، ط 2007 م.

الأقراص المضغوطة:

- الموسوعة الشاملة الإصدار الثالث.

الهوامش:

- 1- أستاذ محاضر^٢ بكلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1.
- 2- انظر، الوشريسي، المعيار المغرب، تحقيق مجموعة من الفقهاء إشراف د/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/ 1401هـ - 1981م: 7/ 57 و 7/ 58 و 7/ 60 و 7/ 64.
- 3- د/ عبد القادر بن عزوز، مؤسسة الوقف بالجزائر العثمانية، مجلة الصراط، تصدر عن كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، س 11/ ع 18/ محرم 1430هـ - 2009م: 128.
- 4- انظر على سبيل المثال كتاب: القرافي، الذخيرة، تحقيق محمد حجي، دار الغرب، بيروت، ط/ 1994م: 10/ 423 وما بعدها.
- 5- أ/ بشير بلمهدي، السياسة العقارية الاستيطانية الفرنسية اتجاه الوقف أو الحبوس في الجزائر، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، ط 2007م: 206 وما بعدها. وأ/ محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، الوقف في الفكر الإسلامي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط/ 1416هـ - 1996م: 2/ 301.
- 6- أ/ موسى عاشوري، أساليب الاستعمار الفرنسي في الاستيلاء على الأوقاف، أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962م، المصدر نفسه: 80.
- 7- آل عمران: 133.
- 8- البقرة: 245.
- 9- صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1414هـ - 1993م، باب المريض وما يتعلق به: 7/ 286. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.
- 10- فتوح البلدان، البلاذري، مراجعة رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1403هـ - 1983م: 274.

- ¹¹ - انظر، الونشريسي، المعيار المغرب، تحقيق مجموعة من الفقهاء إشراف د/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/ 1401 هـ - 1981 م: 7/ 17. وتاريخ ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط/ 04: 3/ 10.
- ¹² - انظر: عبد القادر ربوح، (الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين 4-9 هـ / 10-15 م)، مذكرة لنيل درجة الماجستير من قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، السنة الجامعية 1426-1427 هـ / 2005-2006 م: 122.
- ¹³ - المصدر نفسه: 156.
- ¹⁴ - قریش: 1-4.
- ¹⁵ - انظر، أد/ ناصر الدين، سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/ 01/ 2001 م: 243. وعبد القادر ربوح، الأحباس، (الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين 4-9 هـ / 10-15 م): 142-143. ود/ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800 م- 1830 م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط/ 1979 م: 142.
- ¹⁶ - انظر، وداد العيدوني "حماية القاصرين في نظم الوقف بالمغرب والأندلس"، مجلة أوقاف، ع/ 13/ س 7/ شوال 1428 هـ - نوفمبر 2007 م: 46-47.
- ¹⁷ - انظر، الونشريسي، المعيار المغرب، تحقيق مجموعة من الفقهاء إشراف د/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/ 1401 هـ - 1981 م: 7/ 17.
- ¹⁸ - انظر، عبد القادر ربوح، الأحباس، (الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين 4-9 هـ / 10-15 م): 150.
- ¹⁹ - انظر، د/ رحيم كاظم وأ/ عوف محمد، الحضارة الإسلامية في تاريخ النظم، الدار اللبنانية، القاهرة، والمكتبة الجامعية ليبيا: 156.
- ²⁰ - أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط/ 1418 هـ / 1997 م: 3/ 65.
- ²¹ - أ/ خديجة مفيد المرأة والوقف، التجربة المغربية "مجلة أوقاف"، ع/ 10/ س 6/ ربيع الآخر 1427 هـ - 2006 م: 162.

- 22 - انظر، أد/ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/ 1998م : 274 / 1.
- 23 - انظر، د/ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة الحديثة: 246.
- 24 - انظر، د/ رحيم كاظم وأ/ عوف محمد، الحضارة الإسلامية في تاريخ النظم: 156.
- 25 - المرجع نفسه: 158.
- 26 - د/ محمد الحجوي، الجوامع والزوايا والخزانات التي ازدهرت بمال الوقف في المغرب، مجلة أوقاف، ع7/ س4 / شوال 1425هـ - نوفمبر 2004م: 98.
- 27 - انظر، عبد القادر ربوح، الأحباس، (الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين 9-4هـ / 10-15م): 162.
- 28 - محمد شريف سيدي موسى، (الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بداية من عصر الموحدين إلى الاحتلال الإسباني 6هـ / 10هـ - 16/ 12م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ: 88.
- 29 - المرجع نفسه: 91.
- 30 - أد/ محمد الأمين بلغيث، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير، الجزائر، ط02/ 1429هـ - 2008م: 64 وما بعدها.
- 31 - انظر، عبد المطلب مصطفى رجب مظهر، أهل الذمة في الأندلس خلال الحكم الأموي، عصر الإمارة والخلافة، 138 - 421هـ / 756 - 1030م، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ إسلامي وحضارة إسلامية، جامعة اليرموك، 1420هـ / 1991م: 141 وما بعدها.
- 32 - أد/ محمد الأمين بلغيث، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي: 19.
- 33 - الحجرات: 13.
- 34 - انظر، الونشريسي، المعيار المغرب، تحقيق مجموعة من الفقهاء إشراف د/ محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/ 1401هـ - 1981م: 7/ 17.
- 35 - انظر، الونشريسي، المعيار: 7/ 297. وعبد القادر ربوح، الأحباس، (الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين 9-4هـ / 10-15م): 161- 162. وأد/ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي: 1/ 327.



- ³⁶ - الوزاني، النوازل الجديدة الكبرى، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، تحقيق
أ/ عمر بن عباد، ط/ 1419 هـ - 1998 م: 8/ 516. و أ د/ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر
الثقافي: 1/ 327.
- ³⁷ - أ د/ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي: 1/ 323.
- ³⁸ - انظر، عبد الله الزايدي، الأثر الثقافي للوقف في الحضارة الإسلامية، مجلة أوقاف،
ع 11/ س 6/ ذو القعدة 1427 هـ - نوفمبر 2006 م: 95. و أ د/ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر
الثقافي: 1/ 333.
- ³⁹ - أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب
الأقصى: 3/ 111.
- ⁴⁰ - د/ محمد الحجوي، الجوامع والزوايا والخزانات التي ازدهرت بمال الوقف في المغرب: 98.
- ⁴¹ - انظر، د/ ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الفترة
الحديثة: 246.
- ⁴² - انظر، أ د/ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي: 1/ 279.
- ⁴³ - المصدر نفسه: 1/ 352.
- ⁴⁴ - د/ محمد الحجوي، الجوامع والزوايا والخزانات التي ازدهرت بمال الوقف في المغرب: 79.
- ⁴⁵ - الونشريسي، المعيار: 7/ 227.
- ⁴⁶ - أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب
الأقصى: 3/ 111.
- ⁴⁷ - انظر، د/ رحيم كاظم وأ/ عوف محمد، الحضارة الإسلامية في تاريخ النظم: 161.
- ⁴⁸ - انظر، عبد القادر ربوح، الأحباس، (الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرنين
4-9 هـ / 10-15 م): 159.
- ⁴⁹ - انظر، الونشريسي، المعيار: 7/ 293. و 7/ 340. و أ د/ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر
الثقافي: 1/ 298.

